هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الشعراء

وقال زارا لأحد أتباعه : منذ بدأت أعرف حقيقة الجسد لم تعد الروح روحاً في نظري إلا على أضيق مقياس ، هكذا صرت أرى (كل ما لا يفنى) رمزاً من الرموز .

فأجاب التابع قائلا : لقد قلت هذا من قبل يا زارا ولكنك أضفت إليه قولك « وكثيراً ما يكذب الشعراء » فلماذا قلت هذا ؟

فقال زارا : أنت تسأل لماذا ، وما أنا ممن يحق عليهم أن يسألوا . ما أنا ابن الأمس وقد مر زمان طويل على إدراكي لأسباب ما أرتأيه ، وهل أنا خزانة تذكارات لأحفظ الأسباب التي بُنيت عليها آرائي ؟ إنما يكفيني عناء أن أحفظ هذه الآراء نفسها ، أفليس في العالم عصافير تشرد من أماكنها ؟ ولكم وجدت في قفصي من طير غريب يرتجف إذا ما مرت عليه يدي عند ذلك فماذا قال لك زارا يوماً ؟ لقد قال إن الشعراء كثيراً ما يكذبون ، وهل زارا نفسه إلا واحد من هؤلاء الشعراء ؟ أفتحسب أنه بهذه الصفة قد أعلن الحق ؟ وما الذي يكرهك على تصديقه ؟

فقال التابع : إنني مؤمن بزارا .

أما زارا فهز رأسه وابتسم قائلا : ليس الايمان مما يرضيني بي ولو كان هذا الايمان معقوداً علي ، ولكن إذا قال إنسان لي جد : إن الشعراء يكذبون ، فانه ليقول حقاً لأننا نحن الشعراء نكذب كثيراً ، ولا بد لنا من الكذب ما دام ما نجده من علم قليلا . ومَنْ من الشعراء بيننا لم يغش شرابه وفي سراديبنا تتقطر السوائل المسمومة ؟ ولكم فينا من أمور يقصر عن وصفها لسان . إن افتقارنا في المعرفة يهيب بنا إلى محبة مساكين العقول خاصة إلى محبة مسكينات العقول الفتيات . . . فنحن نعود بهواتنا إلى الأمور التي تتحدث عنها العجائز في السمر ونقول عما نبحث فيه إنما هو قضية المرأة الأبدية .

يخيل لنا أن أمامنا طريقاً سوياً يؤدي إلى المعرفة وأن هذا الطريق لا يستكشف لمن يدركون الأمور بالعلم ، فنحن لا نؤمن إلا بالشعب وبحكمته . فالشعراء جميعهم يعتقدون أن الجالس على منحدر جبل مقفر يتنصت إلى الكون يتوصل إلى معرفة ما يحدث بين الأرض والسماء . وإذا هم هزهم الشعور المرهف خيل لهم أن الطبيعة نفسها أصبحت مغرمة بهم فيرونها تنحني على آذانهم لتلهمهم البيان الساحر والأسرار ؛ فيقفون مباهين بالهامهم أمام كل كائن يزول .

وآسفاه ! إن بين الأرض والسماء أموراً كثيرة لا يحلم بها إلا الشعراء ، وهنالك أمور أخرى كثيرة فوق السماء ، فما جميع الآلهة إلا رموز أبدعها الشعراء .

والحق أننا منجذبون أبداً إلى العلياء ، إلى مسارح الغيوم فنرسل اليها أكراً منفوخة ملونة ندعوها آلهة وبشراً متفوقين . والحق أنهم من الخفة على ما يجعلهم أهلا لاقتعاد مثل هذه العروش

ويلاه ! لكم تعبت من كل قاصر يطمح إلى جعل نفسه شيئاً معدودا ؟ ولكم أتعبني الشعراء ؟

وما نطق زارا بهذا الكلام حتى ثارت نفس تابعه ، ولكنه كظم غيظه فسكت وسكت زارا أيضا وغيض نظره كأنه يسبر أقاصي نفسه ، ثم تنفس الصعداء وقال : أنا من الأمس ومن الزمن القديم ولكنّ في شيئاً من غد وبعده ومن الآتي البعيد . فقد أتعبني الشعراء الأقدمون منهم والمجددون فما هم في نظري إلا رغوة لا صريح تحتها ، بل هم أسِنَّة بحار جفت مياهها . إن أفكارهم لم تنفذ إلى الأغوار ، وقد وقف شعورهم عند أول جرفها . وخير ما ترى في تأملاتهم قليل من الشهوة وقليل من الضجر فليست بحورهم إلا مجالات تتزلق على تفاعيلها الأشباح فهم لم يدركوا شيئاً بعد من القوى الكامنة في النبرات . لم يبلغ الشعراء درجة النقاء فهم يعكرون جداولهم ليخدعوا الناس ويوهموهم أنها بعيدة الغور ؛ إنهم يريدون أن يقيموا أنفسهم موفقين بين مختلف المعتقدات غير أنهم لا يزالون رجال العمل الناقص السائرين على السبل المتوسطة الحائرة فهم يعكرون المياه بأقذارهم .

وآسفاه لقد ألقيت شباكي في بحارهم آملا اصطياد خير الأسماك ولكنني ما سحبت هذه الشباك مرة إلا وقد علق فيها رأس إلـه قديم . وهكذا كان يجود البحر بحجر على الجائع . ولعل الشعراء أنفسهم خرجوا هم أيضاً من البحر وفيهم ولا ريب